

الأمثل في تفسير كتاب المنزل

[268] الإِـنحراف ويؤدي إلى أضرار، ومن ذلك ما نراه في هذه القصة. بنو إسرائيل أُـمروا أن يذبحوا بقرة. وكان بإمكانهم أن يذبحوا أيّـة بقرة شاؤوا، لأن الأمر الإِـلهي لم يحدّد شكل البقرة ونوعها، ولو أراد الإِـنحراف بقرة بعينها لحدّد مواصفاتها حين الأمر. لكن الإِـنحراف أمرهم أن يذبحوا "بقرة" وصيغة التنكير تدل على عدم إرادة التحديد. هؤلاء المعاندون أبوا إلاّ أن يطرحوا أسئلة متكررة، أملا في تضييع الحقيقة وإخفاء القاتل، وبقوا يصرون على تردهم في الذبح حتى النهاية، وهذا ما تشير إليه عبارة: (فَذَبَحُوا وَهُمْ كَادُوا يَفْعَلُونَ). وفي الآيات ما يشير إلى أن مجموعة من بني إسرائيل - على الأقل - كانت تعرف القاتل، وقد يكون القتل قد تمّ بمؤامرة بين هؤلاء الأفراد، لكنهم كانوا يكتُمون الأمر، ولهذا يقول سبحانه: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَأَصْفَ إِلَى مَا سَبَقَ أَنَّ أَهْلَ الْعِنَادِ وَاللَّجَاجِ يَكْثُرُونَ دَائِمًا مِنْ الْجَدَلِ وَالْإِحْتِجَاجِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. وثمة قرائن في الآيات توضح أن هؤلاء القوم لم تكن لهم معرفة كاملة بالإِـنحراف ولا بالنبي المرسل إليهم، لذلك قالوا له بعد كل أسئلتهم: (الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ)، وكأنّ ما جاء به حتى ذلك الوقت كان باطلا!! والملاحظ أن الإِـنحراف سبحانه ضيق عليهم دائرة الإِـنتخاب، واشتدّ بذلك عليهم التكليف كلّما زادوا في أسئلتهم، لأنهم مستحقون لمثل هذا العقاب. ولذلك نرى في الأثر حتّ على السكوت عمّا سكنت عنه تعاليم السماء ففي ذلك حكمة. عن النّبي(صلى الله عليه وآله وسلم): "أَزْهَمَهُمْ أُمْرُؤًا بَأْدَنِي بَقَرَةً وَلَكَدَّ هُمْ لَمَّ شَدَّ دُؤَا عَمَلِي أَزْفُسَهُمْ شَدَّ دَإٍ عَمَلِيَهُمْ"(1). * * *